



Ideology and its Impact on Objectivity in Writing Algerian History: The Events of May 8, 1945 as a Case Study

Dr. Gheraissa Ratiba¹, Pr. Ferhat Kamla²

¹: University of El Oued, Algeria, Gheraissa-ratiba@univ-eloued.dz

²: University of El Oued, Algeria, Ferhat-kamla@univ-eloued.dz

Abstract:

This research paper aims to examine a critical aspect of Algerian historical writing: the divergent accounts and writings of historians, both those from the French school, which sought to serve colonial objectives, and those from the Algerian school, which focused on serving national goals. The writing on certain topics differed between the two groups to the point of contradiction, which could distort the truth and compromise objectivity. This study will attempt to clarify the underlying factors that contributed to these differences.

Keywords: Ideology, History, French School, Nationalist Writing, Massacres.

Received: 21 Apr 2026

Accepted: 04 May 2026

Published: 25 May 2026

الأيدولوجية وتأثيرها على الموضوعية في كتابة تاريخ الجزائر "حوادث 8 ماي 1945 أنموذجاً"

د/ غرايسة رتيبة¹، أ.د/ الكاملة فرحات²

¹: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، Gheraissa-ratiba@univ-eloued.dz

²: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، Ferhat-kamla@univ-eloued.dz

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة أحد الجوانب ذات الخطورة في التأليف لتاريخ الجزائر، إذ تتباين الروايات والكتابات بين المؤرخين سواء من المدرسة الفرنسية التي تسعى إلى خدمة الأهداف الاستعمارية، بل وحتى المدرسة الجزائرية التي ركزت على خدمة الأهداف الوطنية، واختلفت الكتابة لبعض المواضيع بين الفئتين حدّ التناقض، الأمر الذي من شأنه تزييف الحقيقة والإخلال بالموضوعية، وسنحاول خلال هذه الدراسة توضيح المنطلقات التي ساهمت في هذا الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: الأيدولوجية، التاريخ، المدرسة الفرنسية، الكتابة الوطنية، مجازر.

تُعد الكتابة التاريخية من المهام الصعبة والشديدة الحساسية، والسريعة التأثر بكاتبها ومُنتقلاته الفكرية والعقائدية، أو ما يُعرف بالأيديولوجية، ومن ثمة يؤدي ذلك إلى مجافاة الموضوعية، وبذلك يصعب الوصول إلى الحيادية والكتابة الخالصة، ويتجلى هذا الأمر في أغلب الكتابات التاريخية بما فيها التاريخ الجزائري، الذي بلغ في بعض أحيانه أن تتناقض الكتابات تناقضا صارخا، انطلاقا من الخلفية الأيديولوجية لكل كاتب، الأمر الذي يعسّر التأريخ الموضوعي الحيادي له.

ولذا كانت رغبتنا في دراسة موضوع الأيديولوجية، وتاريخ الجزائر، بهدف التعرف على الدور والتأثير الذي تلعبه الأيديولوجية في كتابة التاريخ، ولخطورتها على نواحي الموضوعية بذلك، لاسيما في كتابة تاريخنا الوطني بين مختلف المنطلقات الفكرية، ولذا نطرح التساؤل التالي: ما مفهوم الأيديولوجية؟ وما وقعها على كتابة التاريخ الجزائري؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات باشرنا انجاز الموضوع، انطلاقا من تعريف الأيديولوجية، وتأثيرها في كتابة التاريخ بصورة عامة، ثم كتابة التاريخ الجزائري بين المدرسة الاستعمارية الفرنسية والمدرسة الوطنية، وطبقنا على مجازر 8 ماي 1945م بين الروايات الوطنية والفرنسية، وخرجنا في نهاية الموضوع بمجموعة من النتائج.

- مفهوم الأيديولوجية

منذ بداية استخدام هذه اللفظة في أواخر القرن 18م، كان مصطلح الإيديولوجية يعني «عالم الأفكار، كشيء مقابل للعالم المحسوس، وربما مناقض له»، واستخدمه كارل ماركس¹ بمعنى «مجموعة الأفكار والمعتقدات التي تسود مجتمعا ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة». وتطوّر المفهوم على يد كارل مانهايم² (عالم الاجتماع) فأصبحت «الإيديولوجية هي أسلوب في التفكير». ومهما يكن فبالإمكان «تعريف الإيديولوجية على أساس أنها ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد»، ومعتنق هذا النسق «يربط ويكمل بين الأفكار في مختلف الميادين الفكرية السياسية والأخلاقية والفلسفية»³، ودارس الأيديولوجيات في الحقل السياسي لا يحكم عليها من زاوية الحق والباطل، وإنما يصفها فقط بالنظر إلى فعاليتها، إلى قدرتها على استمالة الناس والاقتراب من أهدافها، وتعني بالضرورة في هذا الحقل السياسي أن الأيديولوجية تكشف الواقع لنا وتحجبه عن خصمنا⁴.

وتقيّم الأيديولوجية بكونها سلاح خطير، لأنه يتحكم في معتقدات الناس ويوجه سلوكياتهم وفق القيم والمبادئ التي يؤمنون بها، ولأن النسق الإيديولوجي من جهة أخرى وفي كل مجتمع يتميز «بالإستراتيجية والنمطية والثبات، لأنه يتعلق بالفكر والتصورات ومن الصعب تغييره لتحكمه وسيطرته على معتقدات الناس واتجاهات الرأي العام، ولذلك كان النسق الإيديولوجي هو آخر ما يتغير في أنساق البناء الاجتماعي كله، على الرغم من تغير أنساق أخرى لا تتحكم في طبائع البشر»⁵.

وبالنسبة لعلاقة الأيديولوجية بالتاريخ والكتابة فقد أصبح التاريخ في الفكر العالمي المعاصر اليوم، ومن وجهة نظر المختصين يعتبر مخبرا للعلوم الاجتماعية، فإذا كان أرسطو مثلا في العصر اليوناني يؤكد بأنه لا علم إلا بالكليات، فإن كبار المفكرين المعاصرين المشتغلين بفكرة التاريخ يؤكدون بأنه لا علم إلا بالتاريخ، وهذا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإذا كانت الأيديولوجيا هي المعتقدات والخصائص الذاتية، التي تميز شعبا عن شعب آخر، فإنها بذلك تكون جزءا لا يتجزأ من التاريخ؛ باعتبار أن المعتقدات والأفكار والتصورات تشكل جوهر شخصية كل شعب بكل أبعادها الثقافية واللغوية والدينية والاجتماعية عبر مراحل التاريخ والأحقاب الزمنية المتتالية.⁶

- كتابة التاريخ الجزائري بين المدرسة الفرنسية والجزائرية

كان التغريبيون في الجزائر أو ما أصطلح على تسميته (بحزب فرنسا)، أي الذين يريدون أن يلحقوا تاريخ الجزائر بتاريخ الغرب عموما، وفرنسا تحديدا يدعون تمسكهم بالحدثة والموضوعية والمنهج العلمي والمصطلحات والمفاهيم البراقة، فإن ذلك كله مرتبط بالإرادة الخفية والمعلنة لتزوير التاريخ حيث يقول الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: «وفي مجال تزوير التاريخ هناك عدد لا يحصى ممن يحاولون أن يشككونا في تاريخنا ليزدبونا في حاضرنا ومستقبلنا ولذا علينا أن نحذر ونختار ونحتاط، علينا أن نقرأ كل شيء، بشرط الحذر والاحتياط واليقظة وذلك لأن التاريخ هو أساس الأيديولوجيات كلها، وليس بهذه الموضوعية والعلمية والنزاهة والحياد والتجرد وغير ذلك مما يدعون»، لأن في مجال البحث التاريخي والدراسة التاريخية لا توجد موضوعية مطلقة، لأن المؤرخ يعيش التاريخ ولا توجد ذاتية مجردة لأن المؤرخ من جهة أخرى هو نتاج التاريخ، فلا يمكن مثلا للمؤرخ الجزائري والفرنسي أن تكون نظرتهم متطابقة للثورة التحريرية الكبرى رمز هويتنا جميعا «فالموضوعية المجردة المطلقة غير موجودة في الواقع ويصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيقها وما فائدة المجرد والمطلق ما لم يخضع للتحخيص والتحليل والاستنتاج ليصبح عبر ذلك⁷».

ولقد اهتمت المدرسة التاريخية الفرنسية بتاريخ الجزائر منذ بداية الاستعمار، وركزت على تشويه الفترات السابقة من الحكم العثماني الذي كان حسبهم حكما مستبدا وعبرة عن أقلية من الأتراك يضطهدون السكان الجزائريين، بالإضافة إلى اعتبار النشاط البحري الجزائري عبارة عن لصوصية وقرصنة⁸، كما صوروا الجزائر أثناء الحملة الفرنسية وبعدها بكونها تعيش في فوضى عارمة واضطرابات شديدة⁹.

وتمحورت أهداف الفرنسيين من وراء كتاباتهم حول:

✓ تشويه صورة الفرد الجزائري بالنسبة للعالم الخارجي، بإبرازه في حالة من الجهل والوحشية والبدائية¹⁰.

✓ تزييف الحقائق التاريخية حول عراقة الأمة الجزائرية لتبرير حملتهم الاستعمارية.

✓ إنكار وجود دولة الجزائر عن طريق استخدام مصطلح المحمية¹¹.

وكان منطلق الفرنسيين في هذا النمط من الكتابة هو فكرة استحوادهم على الجزائر كان بعملية إخضاع عسكري، ويكون الفرنسيين شعبا متحضرا ينتمي للمسيحية، تمكن من حكم شعب همجي متخلف مسلم، وبذلك هم يحملون رسالة تمدنية تسعى إلى نشر الحضارة وتهذيب الفرد الجزائري¹².

كما أن المنتبع لأغلب الكتابات التاريخية الفرنسية يجدها تتميز بالانتقائية للفترة التاريخية، إذ نجد في البداية تم التركيز على الأصول الأوروبية للإنسان الأول الذي عاش في الجزائر (النياندرتال)، والاحتلال الروماني وما جلبه من مظاهر الحضارة، وتماشى الكتابة التاريخية في الفترة الاستعمارية مع الأهداف الاخضاعية وهو ما يطبعها بصفة النفعية لا العلمية¹³.

ورغم كل ذلك فقد ظهرت كتابة تاريخية فرنسية أكثر إنصافا للجزائر خاصة خلال الثورة مثل منشورات مينيوي، وماسبيرو¹⁴، وساهمت بمنشوراتها الحيادية في تنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي وإطلاعه على حقيقة ما يجري في الجزائر من أحداث¹⁵، وإن تعامل معها الجزائريون بحذر شديد انطلاقا من فكرة المؤرخ المستعمر، ومن ثمة طغيان الأيديولوجية الاستعمارية وانعدام الموضوعية¹⁶.

وتوسعت دائرة الكتابات التاريخية الفرنسية الأكثر موضوعية بعد الاستقلال من أمثال: فرانسيس جونسون¹⁷، وجون بول سارتر¹⁸، الذين اعتبروا انتصارهم لقضية الجزائر يعبر عن الوفاء لمبادئ الثورة الفرنسية، وعرفت مؤلفاتهم خروجاً حقيقياً عن النص الكولونيالي¹⁹، ومن أبرز المؤرخين الفرنسيين الذين حاولوا الكتابة عن تاريخ الجزائر بموضوعية نجد كذلك جيلبير مينيوي²⁰ رغم ميوله الماركسية إلا أنه اعتمد في كتابته²¹ على الوثائق الأرشيفية بالتعاون مع ما تمكن من الحصول عليه من شهادات حية خاصة مصاحبه للمؤرخ محمد حربي، وتجلت تعاطفه مع الثورة في العبارات التي كان يستخدمها كلفظة المجاهدين والشهداء، وحرصه على تعلم اللغة العربية وإتقانها²².

وعليه يتجلى لنا مما سبق الانقسام الكبير في التأليف الفرنسي حول تاريخ الجزائر بين من هدفه خدمة الأغراض الاستعمارية والتماهي معها ولو حساب الحقيقة التاريخية أو على الأقل مقاربتها، وكأن المرام الاستعمارية العليا فوق كل اعتبار، وبين الفريق الآخر، الذي يرى في الانتصار للمبادئ الإنسانية وإبراز الحقائق التاريخية ذروة ما تصبو إليه أهدافهم في التأليف والتأريخ.

✓ المدرسة التاريخية الجزائرية

تميزت كتابات القرن 19م بالقلّة نظراً للتضييق الفرنسي، والطابع العام للكتابة الجزائرية كان يسعى إلى إحياء التراث العثماني، والرد على الكتابات الفرنسية²³، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت الساحة الوطنية بداية بروز كتابة تاريخية واعدة مثلها مبارك الميلي، عندما بدأ يشتغل حول التأريخ للمجتمع الجزائري، وإصداره لكتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، وبانطلاق النشاط الصحفي الجزائري، ظهرت عدة كتابات مثل "تاريخ الخلف في رجال السلف" لأبي القاسم محمد الحفناوي، وكتابات عمّار بوليفة، وكلها تعبر عن توجه وطني في الكتابة لمواجهة الأيديولوجية الاستعمارية، التي أضحت تشكل تهديدا للهوية

الوطنية، ومن ثمة لزاما على رجال الإصلاح التصدي لها، ونذكر منهم أحمد توفيق المدني، عبد الرحمان الجبالي، علي دبور²⁴.

وبقراءة نقدية للكتابات في هذه المرحلة فقد ارتكزت على التقليل من شأن الاستعمار وتعمدت إبراز روعة الحضارة الإسلامية، وانتصروا لفكرة تبرير التواجد العثماني في الجزائر، على كونه عملية إنقاذ من الغزو الصليبي، وبالتالي هو دين لابد من سداه، كما عمدوا إلى ربط المجتمع الجزائري بالكيان العثماني انطلاقا من الروابط الروحية الإسلامية²⁵.

وفي فترات لاحقة ظهرت كتابات فرنسية لمؤلفين جزائريين من حزب الشعب وحركة انتصار، لكن كتاباتهم كانت متأثرة بتكوينهم في المدارس الفرنسية، وحاولوا استغلال منتوجها التاريخي والرد عليه، أمثال مصطفى الأشرف، محمد الشريف ساحلي، ومحي الدين جندر، وهو ما جرّ عليهم تحامل المؤرخين، خاصة باستخدامهم جملة "أجدادنا الغاليين"²⁶. أي أن تلك النخبة ذات التكوين الفرنسي عدت نفسها سليمة للفرنسيين! وبعد الاستقلال 1962م فرض النظام الجزائري كتابة رسمية من منطلق تمجيد الثورة وبهدف ضمان تماسك الدولة والمجتمع الجزائري، وإن تعارضت هذه الكتابة مع النسق الموضوعي والأكاديمي وأفقدتها صفة العلمية، زد على ذلك التضييق الذي مارسه النظام الجزائري مما قرّم الإصدارات التاريخية التي لم تتجاوز 3% من مجموع الإصدارات، وكلها بتوجيه من النظام²⁷.

ومع نهاية الثمانيات من القرن 20م عرفت الكتابة التاريخية تمردا وكسرا للحصار، دشنها محمد حربي بأطروحة دكتوراه بعنوان "جبهة التحرير بين السراب والواقع 1945-1962"، وتناول الصراع داخل قيادات الثورة، لأجل إعطاء الثورة حقيقتها الموضوعية، والابتعاد عن الكتابة بطريقة انتقائية²⁸، فقد ورد في هذا السياق مقولة لأبي القاسم سعد الله فحواها: "وأمام ظواهر الخوف من التاريخ والتشردم الثقافي وتحطيم الأبطال والرموز وأمام غياب المركزية الواعية الموجهة وفقدان الحرية الفكرية وغياب الحوافز كيف نتصور أن يولد المؤرخ ويمارس نشاطه وتجديده لتاريخ شعبه؟"²⁹.

وتعود أسباب التاريخ الانتقائي للمدرسة التاريخية الجزائرية للأسباب التالية:

✓ التشكيك في كل ما يصدر من الفرنسيين باعتباره خطابا يستهدف ضرب الثورة وزرع الشقاق في صفوفها.

✓ الطبيعة السرية للمجاهدين التي ظلت مستمرة حتى بعد نهاية الثورة، ولعل بعضهم لا يزال متأثرا بالوضعية المأساوية خلال الثورة كإعدام زملائهم والتكتم على الصراعات بين زعمائها.

✓ تخوّف المناضلين من فكرة الفتنة فالنبش في الماضي سيثير الفتنة ويمس بقدسية الثورة.

✓ المحافظة على الهالة والاحترام الذي يكنه الشعب الجزائري للثورة وزعمائها.

✓ أحادية النظام الجزائري غداة الاستقلال، التي فرضت أحادية الفكر والثقافة والرأي.

✓ الخوف من الشرعية التاريخية في من له الحق في قيادة البلاد³⁰.

وبذلك فقد تميز التاريخ الوطني الرسمي لما بعد الاستقلال بأيدولوجية ذات صورة احتفالية موجهة، ولقد حاولت السلطة الجزائرية التضييق على الكتابات المعارضة لسياستها، مثل مصادرة السلطة الجزائرية آلاف النسخ من جريدة "أخبار الجزائر" الصادرة في 08 جويلية 1985م، التي خصصت عددها ذلك للمنظمة الخاصة بسبب ورود أسماء تاريخية تحولت إلى صف المعارضة كحسين آيت أحمد، ومحمد بوضياف.³¹ وبالتالي يمكن الوقوف في تلك الكتابات عند الإتجاهات الثلاث:

✓ الاتجاه الوطني الأصيل: ينطلق في تفسيره لحركة التحرر المغاربية ولحركة التاريخ عامة من تصويره العقدي للإنسان والكون والحياة وقد جاءت الكتابات كرد فعل على المدرسة الاستعمارية ومن أشهر روادها أبو القاسم سعد الله، توفيق المدني، يحي بوعزيز ومبارك الميلي، وهذا الأخير بتأليفه لكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في جزئه الأول الصادر سنة 1929م والجزء الثاني في عام 1932م جاء ردا على المدرسة الاستعمارية التي تعطي المشروعية للاستعمار، بينما يعطي الكتاب المشروعية للدعوة إلى الاستقلال، ويؤكد الطابع الوطني لكل المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر.³²

✓ الاتجاه الوطني المستغرب: جاءت كتاباته للتاريخ متأثرة بفلسفة الغرب وتصوراته المادية للكون والحياة والإنسان ولحركة التاريخ، ومن أهم رموز هذه المدرسة مصطفى الأشرف ومحمد حربي فقد بالغوا في تفسير أحداث تاريخ الجزائر من منظور أيديولوجي مادي، أم ما يسمى بالجدلية المادية وهذا لتأثر الأول بفلسفة فرانس فانون ولانتماء الثاني إلى الأيديولوجية الماركسية، إذ نجد مصطفى الأشرف يقدم تفسيراً غريباً عن الوطنية ونشأتها في التاريخ إذ يجعلها مرتبطة بظروف اقتصادية، أو وسائل الإنتاج دون أن يربطها بظروف الاحتلال أو الدفاع عن الوطن وقيمه، حيث جاء في كتابه "الجزائر الأمة والمجتمع" (قامت كنتيجة حتمية للمشكلة الزراعية العويصة وللتعاشيش التعسفي بين طوائف متفاوتة في الحقوق). ومن جهة أخرى يذهب محمد حربي إلى إنكار وجود كيان جزائري قبل الاحتلال، فقد ورد عنه ما نصه (يمكننا أن نقول بدون حرج إن الاستعمار كان أحد العوامل المؤثرة التي أدت إلى ظهور الجزائر).³³

✓ الاتجاه الوطني الحزبي: فالانتماء الحزبي كثيرا ما حجب بعض المؤرخين الجزائريين من أن يكتبوا بموضوعية، بل جاءت كتاباتهم متأثرة إلى حد ما بنظرة الحزب الذي يناضلون فيه، ومن أهم رموز هذا الاتجاه بن يوسف بن خدة، ومحمد العربي الزبيري، فقد أشادوا في كتاباتهم بحركة حزب الشعب والعناصر المنتمية إليه، واختزلوا الحركة الوطنية في حزب الشعب بالتقليل عن أهمية الاتجاهات الأخرى.³⁴

وعرفت الكتابة التاريخية الجزائرية بعد سنة 1988م وكنتيجة للتعددية الحزبية والانفتاح الذي شهدته البلاد انتعشت الكتابات، وظهرت العديد من الجمعيات الثقافية، المؤمنة بالرسالة الحضارية بالكتاب وبرزت كوكبة من المؤرخين، الأمر الذي ساعد في ظهور شهادات حقيقية حول الثورة الجزائرية، وزال اللبس عن

الكثير من القضايا خاصة الثورية، الأمر الذي ساعد على بروز نظرة حيادية وأكثر موضوعية في تقييم الكتابات الفرنسية الموضوعية - إن صحّ الوصف - وتبيّنت حقيقة التكتّم الرسمي للنظام الجزائري الذي مرّده تغيب بعض الحقائق، لاسيما الصراع الحاصل خلال الثورة وعند بداية الاستقلال³⁵.

ومما سبق يتأتى لنا المهمة الصعبة المنوطة بالمؤرخين الجزائريين اليوم من أجل تنقيح وتصحيح التاريخ، وهذا بعد تكريس مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا من طرف البعض ساعين بكل جهد وبلا ملل لتحقيق الحكمة القائلة «ما يقوله اليوم بلسان واحد سيقوله الغد بألسنة متعددة»، وهذا ما جعل الدكتور محمد عبد الباقي الهرماسي في كتابه "المجتمع والدولة في المغرب العربي" يتنبأ بمستقبل سياسي صعب بعد الاستقلال بالنسبة للنخب السياسية في الجزائر، وهذا عندما يقول: «ولكن المستقبل السياسي للجزائر سيكون صعبا لأن فرنسا قضت على الجهاز السياسي وعلى جميع معالم السيادة الجزائرية، ولهذا فلن تجد النخب السياسية في المستقبل الإطار التنظيمي الذي يمكن أن تبني عليه مشاريعها والذي يمكن أن يشكل أساسا لبناء الهوية الوطنية»³⁶.

- نموذج عن الكتابات التاريخية وفق الايديولوجية الوطنية والاستعمارية الفرنسية "أحداث 8 ماي 1945م"

✓ ماهية أحداث 8 ماي 1945م.

ساعدت أحداث الحرب العالمية الثانية على اكتمال نضج الحركة الوطنية الجزائرية وظهر هناك إجماع زعماء الجزائر على اتجاههم عين وعلى مطالب محددة، وشعرت حكومة فرنسا بخطر الموقف وصممت على إظهار قوتها تجاه الجزائر، معتقدة أنه بإمكانها القضاء على الروح الوطنية الجزائرية، فأقدمت في 08 ماي 1945م على التصدي لهذه المظاهرات حسب أغلب الكتابات باستخدام القوة العسكرية التي راح ضحيتها 45 ألف شهيد، كما ورد في مجموع الكتب الوطنية، كما قامت بجل جمعية أحباب البيان يوم 14 ماي 1945م وباقي تيارات الحركة الوطنية، وسجن قاداتها وفي مقدمتهم مناضلي حزب الشعب، والشيخ البشير الإبراهيمي، وفرحات عباس وأنصاره غير أن هذه الأعمال الوحشية لم تقض على الحركة الوطنية بل زادت حماسا ونشاطا كما جعلت الشعب الجزائري أكثر وعيا بمطالبه في الحرية والاستقلال. ففي 8 ماي 1945م احتقل العالم الغربي بعقد الهدنة مع ألمانيا، فأراد الجزائريون المشاركة في هذا الاحتفال مع التعبير عن أهدافهم في الحرية والاستقلال، وتعبيراً عن ذلك حمل الجزائريون رايتهم صبيحة ذلك اليوم في كل من سطيف، قالمة خراطة، عنابة وسكيكدة فيها شعارات وطنية "تحيا الجزائر" "أطلقوا سراح مصالي الحاج" وما أن شاهده الفرنسيون حتى قام محافظ الشرطة بإطلاق النار على حاملها الشاب بوزيد شعال، وكان استشهاده بداية لمذبحة من أفضع المذابح الاستعمارية في العالم، اشترك فيها جميع الأوربيين بالجزائر ودامت عدة أيام أسفرت عن مقتل أكثر من 45 ألف جزائري واعتقال 6460 شخص وحكم بالإعدام على 99 منهم.

وبعد هذه المجازر شددت فرنسا الخناق على زعماء الحركة الوطنية إذ نقل مصالي الحاج إلى برازايل واعتقل فرحات عباس والدكتور سعدان والبشير الإبراهيمي ولم يطلق سراحهم إلا في سنة 1946م. وكانت لهذه المجازر انعكاسات سوءا على الشعب وأعلى الحركة الوطنية، بإعادة النظر في شكل التعامل مع الاستعمار وإيمان الشعب الجزائري بأن ما أخذ بالقوة لا يستعاد إلا بالقوة لهذا شرعوا في الإعداد للثورة³⁷. تحليل هذه الأحداث بين المدرسة الوطنية والاستعمارية:

✓ الكتابة الوطنية

- 1- جمعية العلماء: يعبر عن ذلك رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي بمقولته الشهيرة: "...لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخر فصل هذه الفصول المخزية بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"³⁸. وفي هذا تعبير عن مدى استنكار الإبراهيمي لهذه المجازر ومدى وحشية المستعمر الفرنسي خلالها³⁹، كما أنه حمل الاستعمار الفرنسي مسؤولية هذه المجازر، الأمر الذي أدى بها إلى الزج به في السجن، ولقد وصف الإبراهيمي بالمغالي والمبالغ في وصفه لهذه المجازر من طرف الكثيرين وعلى رأسهم المؤرخ أبو القاسم سعد الله⁴⁰.
- 2- حزب الشعب: نورد هنا تقييم الشاذلي المكي مسؤول مكتب الحزب في قسنطينة، حيث يقول: "ففي هذا اليوم خرجت جموع الشبان والفتيان والكهول... متظاهرين في مدن سطيف وخراطة وقالمة... ينشدون أغاني الحرية... والاستقلال، وما كانوا يظنون أن الكثير منهم سوف لا يرجع إلى أهله... فتبدل الحال من مظاهرات سلمية إلى معارك دامية..."⁴¹. كما ورد له الحديث عن حجم الكارثة ما عاينه بنفسه في مقبرة قالمة من أكياس للجثث الممزقة بالرصاص والآلة الحربية الاستعمارية فاقت الحد والتصور⁴².

وعليه نلاحظ من خلال هاذين النموذجين الرؤية الجزائرية لهذه الأحداث، بكونها مجازر وحشية نفذتها سلطة الاحتلال اتجاه شعب أعزل دون مبررات، وفي هذا دلالة على مدى البطش الاستعماري، وهو منطلق فكري (أيديولوجي) وطني يقوم على تجريم الاستعمار الفرنسي، وتحميله المسؤولية كاملة عن هذه الأحداث وعن حجم الضحايا الذي تسببت به فرنسا جراءها.

✓ الكتابة الاستعمارية

- 1- تقرير المسؤول العسكري لمدينة قسنطينة ريموند دوفال: حمل الشعب الجزائري مسؤولية هذه الأحداث بكونه استقرّ السلطة الفرنسية بمطالبه الراديكالية خلال الحرب، بالإضافة إلى المطالب الجريئة التي رفعها في مظاهرات الفاتح من ماي، وبالتالي الشعب الجزائري دفع فرسا للانتقام منه لأنه استغل محنتها وانشغالها بالحرب، كما أنه ادعى أن الشعب الجزائري هو من بادر بإطلاق النار يومها، ومن ثمة لا بد على فرنسا أن ترد⁴³.

ووبرر دوفال استمرار الأحداث في مختلف المناطق الشرقية للوطن بمحاولتها تطهير تلك المناطق من الأسلحة التي كانت بحوزة الشعب الجزائري، كما نفى صفة المجزرة عن هذه الأحداث، بإحصائه عدد الضحايا الذي لم يتجاوز 700 قتيل⁴⁴.

من خلال هذا التقرير نجد الأيديولوجية حاضرة بقوة، إذ أنّ هذا التقرير يعبر عن شخصية استعمارية عسكرية، ت مارس مهامها داخل مستعمرة، وقيام هذه الأخيرة بمطالب أُعتبرت استغزازا، وسوء تصرف، وعليه الردّ الفرنسي كان استجابة لذلك الاستغزاز، كما أن الأحداث حسبه لم ترق إلى المجازر وإنما أحداث متفرقة ساهمت في سقوط بعض الضحايا!

2- تقرير القنصل السويسري في الجزائر: أرسل تقريره إلى وزير بلاده يوم 15 ماي تحت عنوان "أعمال الشغب الجزائرية بالقبائل الجزائرية"، وتضمن التقرير حدوث أعمال شغب جزائرية في القبائل، وقبائل البابور بمدن قسنطينة، قالمة وتحديدا في مدينة سطيف، ووصفها بالانتفاضة المنظمة، المجهولة الأسباب والدوافع، مع اعتبار الحزب الشيوعي هو المسؤول عنها، كما أرجع الأحداث إلى أسباب اقتصادية بنقص مواد التموين، انتشار الجوع، وعبر القنصل عن خوفه من تجدد هذه الأعمال في حال استمر نقص المواد، خاصة وأن أكثر السكان الجزائريين يملكون أسلحة أوتوماتكية، من مخلفات الحرب مع الألمان⁴⁵.

يتجلى من هذا التقرير التماهي السويسري مع الرواية الرسمية الفرنسية، خاصة وأن مقر القناصل هو الجزائر العاصمة وعليه هذه المعلومات الواردة هي مطابقة للرواية الفرنسية، كما نجد حضور التفسير الماركسي للأحداث مع تنافي هذا الأمر في التقرير والشهادة التالية.

3- شارل روبير أجرون: يعد من قلة الفرنسيين الذين كتبوا بإنصاف وبعيدا عن أحقاد الاستعمار وعن حركة التحرر، فقد ورد له: (إن تطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية مهم للفرنسيين والجزائريين على حد سوي) فقد نقل في كتاباته التاريخية شيئا من الموضوعية عن سياسة الاستعمار الظالمة⁴⁶، وقد شهد له بها الكثير من المؤرخين الجزائريين ومن بينهم الدكتور محفوظ قداش الذي يصف أعماله بالإضافة إلى الموضوعية النزاهة وخلوها من الشحنة الأيديولوجية أو مسحة التملق، الذي أضفى عليه المصادقية، كما اعتبره صورة صادقة للصراع الذي دار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبين المستوطنين المدعمن بالإدارة الفرنسية⁴⁷، ويقول أجرون في تحليله لأحداث 08 ماي 1945م: (إن الوضعية الاقتصادية للفلاحين يمكنها أن تجعلنا نعتقد بإمكانية وقوع اضطرابات بسبب الجوع، في فترة التموين، ولكنه إضافة إلى أن حصاد الشعير كان قد بدأ فإن المتظاهرين لم يهاجموا مخازن الحبوب ولقد أوضح المسؤول الإداري لفتح مزالة إنه لا مخازن لبلدية و لا مخازن لعين الطريق قد فتحت كما لم تمس مخازن واحتياطات المستوطنين صحيح أن 90% من الفلاحين كانوا قد رضوا بتسليم منتوجاتهم في سنة 1944م، ولما حاصر الفلاحون في فج مزالة أرسل إليهم المسؤول الإداري مبعوثين يسألهم ماذا يريدون، فأجاب حبوب من دون شك

لكن لما وعدوا بتوزيع ذلك في الغد لم يتحركوا فنقل مبعوثون جدد : "ليس الحبوب هي ما يريده هؤلاء إنهم يريدون دما"⁴⁸.

يتبين لنا من هذا الموقف المنصف نوعا ما نفي صفة ثورة الجوع عن هذه الأحداث كما ادعت المدرسة الماركسية، وأن هذه الأحداث من وجهة النظر الجزائري تعبر عن نضج الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري، الذي صقلته التجارب السابقة، والأحداث العالمية آنذاك، ومن الناحية الفرنسية تؤكد تخطيط الإدارة الاستعمارية الفرنسية وفوضاها في تدارك هيبته المفقودة جزاء أحداث الحرب العالمية الثانية، وارتكاب هذه المجازر حتى تثبت قدرتها العسكرية، واستمرارها في التمسك بالجزائر ولو تعدى الأمر استخدام أعتى المقدرات العسكرية.

الخاتمة

- بعد دراسة موضوع الأيديولوجية والتاريخ في كتابة التاريخ الجزائري توصلنا إلى النتائج التالية.
- ✓ الأيديولوجية كمركب عقائدي لا يمكن فصلها عن الكتابة والتفكير، فهي عنصر وثيق بتكوين الفرد والمؤرخ، ويمثل لانصياع للأيديولوجية خطرا على الموضوعية والحيادية في التأريخ لمختلف الشعوب والأمم.
 - ✓ الحضور الكبير والواضح للأيديولوجية لدى المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية في كتابة تاريخ الجزائر جعل هذا الإنتاج متحيزا وساهم في وسمه بالعرج والابتعاد عن الحقيقة.
 - ✓ المنطلق الفكري الجزائري ردا على الكتابات الاستعمارية جعل باكورة المنتج الوطني هو الآخر يسقط في فخ الأيديولوجية، والغرق في معاداة كل ما هو صادر عن المستعمر مهما تحلى بالحيادية.
 - ✓ تعمق البعد الأيديولوجي الجزائري في كتابة التاريخ الوطني حتى بعد الاستقلال، ومغالاته في تمجيد وتلميع الثورة وجانبي ثمارها، بدليل إقصاء معارف وشخصيات لا غبار على نضالها ووطنيتها.
 - ✓ يُجمع الكثير من المؤرخين على وحشية الاستعمار في تعامله مع متظاهري الثامن ماي 1945م، لكن الكتابة المؤرخة لهذه الأحداث غرقت بين أيديولوجية الكتاب الوطنيين المتعصبين لتجريم المستعمر، وبين الكتابة الفرنسية التي جعلت منها مجرد أحداث محدودة، لا ترق إلى وصف الجرائم والمجازر.
 - ✓ من كل ما سبق لا يمكن أن ينفي وجود كتابة فرنسية أكثر حيادية للتأريخ الجزائري لا لشيء إلا إنصافا للموضوعية والحقيقة التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

1. 10691/ch.Dodis.الأرشيف الرقمي السويسري
2. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، تر:حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
3. بن ساعو محمد: (مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقل التقديس ونزعات التسييس وترسبات الكولونيالية)، مجلة نوات الالكترونية، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، عدد36، 2017، ص29، تاريخ الاطلاع:2019/03/18.
4. بوعاتي هدى، سارة زروق: (مجازر 8 ماي 1945 من خلال الكتابات التاريخية)، مذكرة ماستر تاريخ معاصر، جامعة قالمه، 2017-2018م.
5. بوعبد الله عبد الحفيظ: (فرحات عباس بين الادمج والوطنية)، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة، 2005 - 2006م.
6. بوقريوة لمياء: (مجازر 8 ماي 1948في منظور شارل روبير أجرون)، دراسة تحليلية،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ع7، 2011م.
7. جلال شوقي: (الأيدولوجيا والتاريخ البديل)، مجلة الأهرام، عدد 46412، جانفي 2014م، تاريخ الإطلاع:13مارس 2019م.
8. جليد قادة: (التاريخ والصراع الأيدولوجي في الجزائر)، مجلة رأي اليوم الإلكترونية، عدد مارس 2017م، تاريخ الإطلاع:13 مارس 2019م.
9. زقب عثمان: محاضرات مصادر تاريخ الجزائر، مخطوط، 2017 م.
10. سعد الله أبو القاسم: (منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر)، مجلة الأصالة، عدد 14، 15، قسنطينة.
11. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 4، 1992م، ج3.
12. السعدي بوزيان: جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة، 2005م.
13. شرشار عبد القادر: (الثورة الجزائرية في تمثلات الآخر)، قراءة:محمد حربي، جيلبرميني لكتاب:أكذوبة فرنسية العودة إلى الحرب في الجزائر لجورج حمّو، مجلة إنسانيات، عدد 25، 26، 2004م.
14. العروي عبد الله:مفهوم الأيدولوجيا،المركز الثقافي العربي، ط8، المغرب، 2012م.
15. العقون: عبد الرحمان بن ابراهيم الكفاح القومي والسياسي، ط 2، ج2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م.
16. غريب حسن خليل: (الاسلام التاريخ والأيدولوجيا بمنظار قومي)، شبكة البصرة الإلكترونية، 20ماي 2016م، تاريخ الاطلاع 13مارس 2019م.

17. فرحات الطاهر: "العامل الديني ودوره في حركة التحرر المغربية الجزائرية - تونس - المغرب 1945-1962"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف علي غنابزية، جامعة الوادي، 2013/2014م.
18. مالكي امحمد: صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.
19. Gilbert Meynier: L'Algérie révélée la guerre de 1914-1918 et le premier quart du 20 siècle 2010، Algérie، elmaarifa، (s e)، quart du 20 siècle

- هوامش البحث:

- ¹ كارل ماركس: (1818-1883م) من مواليد إقليم الراين بألمانيا درس القانون والفلسفة والتاريخ، واشتغل بالصحافة، وكان متأثرا بأفكار فردريك أنجلز وأصدرا معا "البيان الشيوعي" سنة 1848م، ويعد ماركس أول من وضع القواعد العلمية لتجسيد الاشتراكية على أرض الواقع، كما أكد أن ذلك لا يتم عبر الطرق السلمية، وإنما عبر الثورة.
- ² كارل مانهايم: (1893-1947م) علم اجتماع من أكثر المفكرين المولعين بالأيديولوجية، وقام بتقسيمها إلى عامة وخاصة واعتبر أن جميع الأفراد تتحكم فيهم الأيديولوجية وكل شخص يرى الظواهر من الزاوية التي يتيحا موقعه الاجتماعي والطبقي.
- ³ حسن خليل غريب: (الاسلام التاريخ والأيديولوجيا بمنظار قومي)، شبكة البصرة الإلكترونية، 20ماي 2016، تاريخ الأطلاع 13مارس 2019م.
- ⁴ عبد الله العروي: مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط8، المغرب، 2012م. صص 10-12.
- ⁵ قادة جليد: (التاريخ والصراع الأيديولوجي في الجزائر)، مجلة رأي اليوم الإلكترونية، عدد مارس 2017، تاريخ الإطلاع: 13 مارس 2019م.
- ⁶ شوقي جلال: (الأيديولوجيا والتاريخ البديل)، م جلة الأهرام، عدد 46412، جانفي 2014، تاريخ الإطلاع: 13مارس 2019م.
- ⁷ قادة جليد: مرجع سابق.
- ⁸ عثمان زقب: محاضرات مصادر تاريخ الجزائر، مخطوط، 2017م، صص 111.
- ⁹ أبو القاسم سعد الله: (منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر)، مجلة الأصالة، عدد 14، 15، قسنطينة، 1973م، صص 7.
- ¹⁰ فمن الأحكام التي تخللت تلك الكتابات حول تاريخ المغرب القديم ذلك الاقرار بغياب اسهام حضاري ما لسكان المغرب، بل سلبيتهم في بناء أسس مدينتهم وفقر تفكيرهم في حقل تنظيم وتسير مجتمعهم فضلا عن عجزهم عن كتابة تاريخهم بأنفسهم وبالتالي استمرارهم في مشاهدة الآخر هو يفرض تاريخه ينظر: -امحمد مالكي: صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، صص 175-180.
- ¹¹ المرجع نفسه.
- ¹² مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، صص 13.

¹³ محمد بن ساعو: (مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقل التقديس ونزعات التسييس وترسبات الكولونيالية)، مجلة ذوات الالكترونية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، عدد36، 2017، ص29، تاريخ الاطلاع: 2019/03/18.

¹⁴ منوي وماسبيرو: من أشهر الكتاب والمترجمين الفرنسيين خلال القرن 20م اشتهرا بالمواقف المناهضة للاستعمار والداعمة للقضايا العادلة والتحررية خاصة الثورة الجزائرية.

¹⁵ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص31.

¹⁶ عبد القادر شرشار: (الثورة الجزائرية في تمثلات الآخر)، قراءة: محمد حربي، جيلبر ميني لكتاب: أكذوبة فرنسية العودة إلى الحرب في الجزائر لجورج حمّو، مجلة إنسانيات، عدد 25، 26، 2004م، ص55.

¹⁷ فرانسيس جونسون: فيلسوف فرنسي اشتهر بدعمه للثورة الجزائرية وهو من أسس "شبكة حملة الحقائق لدعم جبهة

التحرير الوطني"، وألف سنة 1955م كتاب "الجزائر الخارجة عن القانون" تعبيراً عن معارضته لسياسة بلاده في الجزائر، ما جعله ملاحقاً من طرف السلطات الفرنسية.

¹⁸ جون بول سارتر: كاتب وفيلسوف فرنسي له مواقف ثابتة في دعم الثورة الجزائرية والحق في الحرية انطلاقاً من فلسفته الوجودية التي تمجد الحرية.

¹⁹ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص 31.

²⁰ جيلبر ميني: مؤرخ فرنسي شهير يعتمد في تأليفه على المصادر الأرشيفية، وتخصص أكثر في التأريخ للجزائر وثورتها ومن أبرز أعماله "التاريخ الداخلي لجبهة التحرير الوطني"، ويعد من أبرز الكتاب الفرنسيين الموضوعيين.

²¹ للاطلاع على البعض مما ألف بصورة مقارنة للموضوعية ينظر كتابه:

Gilbert Meynier: L'Algérie révélée la guerre de 1914-1918 et le premier quart du 20 siècle (s e)، Algérie، elmaarifa، 2010.

²² عبد القادر شرشار: مرجع سابق، ص ص57، 58.

²³ عثمان زقب: مرجع سابق، ص140.

²⁴ نفسه، ص ص 143، 144.

²⁵ نفسه: ص 146.

²⁶ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص 31.

²⁷ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص32.

²⁸ عثمان زقب: مرجع سابق، ص ص 157، 158.

²⁹ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص 35.

³⁰ عثمان زقب: مرجع سابق، ص ص 160 - 161.

³¹ محمد بن ساعو: مرجع سابق، ص34.

³² الطاهر فرحات: "العامل الديني ودوره في حركة التحرر المغاربية الجزائر -تونس-المغرب 1945-1962"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: علي غنابزية، جامعة الوادي، 2013/2014م، ص174.

³³ الطاهر فرحات: نفسه، ص191.

³⁴ نفسه، ص179.

³⁵ عثمان زقب: مرجع سابق، ص ص 163، 164.

³⁶ قادة جليلد: مرجع سابق.

- ³⁷ ينظر الكثير من المؤلفات للتاريخ الوطني مثل: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج 3، 227-267. وكذلك: بوعبد الله عبد الحفيظ: (فرحات عباس بين الادمج والوطنية)، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة، 2005 - 2006م، ص ص 129-134. وغيرهما.
- ³⁸ بوزيان السعدي: جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة، 2005م، ص 30.
- ³⁹ هدى بوعاتي، سارة زروق: (مجازر 8 ماي 1945 من خلال الكتابات التاريخية)، مذكرة ماستر تاريخ معاصر، جامعة قالمة، 2017-2018م، ص 63.
- ⁴⁰ المرجع نفسه، ص 66.
- ⁴¹ عبد الرحمان بن ابراهيم العقون: الكفاح القومي والسياسي، ط 2، ج 2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م، ص 375.
- ⁴² المرجع نفسه، ص 399.
- ⁴³ هدى بوعاتي، سارة زروق: مرجع سابق، ص ص 69، 70.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ص 72.
- ⁴⁵ ينظر الأرشيف الرقمي السويسري: ch/10691.Dodis.
- ⁴⁶ الطاهر فرحات: مرجع سابق، ص 165.
- ⁴⁷ لمياء بوقريوة: (جازر 8 ماي 1948 في منظور شارل رويبر آجرون -دراسة تحليلية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ع 7، 2011م، ص 177.
- ⁴⁸ الطاهر فرحات: مرجع السابق، ص 172.